يوميا: الإنسان والتطور
الإصدار الإلكتروني
1
2007

كتابة كاملة
الجزء الثاني

النشرة الأسبوعية
سبتمبر 2007

النص البشري في سوائه و إضطرابه

... قراءة من منظور تطوري

بروفسور يحيى الرخاوي

أسبوعيات سبتمبر 2007

المجلد 2، الجزء 1 – أسبوع 3، سبتمبر 2007
إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

النـــص البشـــري فـــي سوائـــــه و إضطرابـــه

... قـــــراءة من منظـــور تطـــوري

بروفســـــور يحيـــى الرخـــاوي

أسبوعيـــات سبتمبـــر 2007

الفهـــــــــــرس

السبـــت 2007-09-01:
1- عـــودٌ علـى بـــدء، ثم نـــرى 4

الأحـــد 2007-09-02:
2- .... أعلَى جبال الخوفِ لا تُـنْجِى الجبانَ من الغرقْ 6

الإثنيـن 2007-09-03:
3- .. نستعمل الـواقع، لا نستسلم لـه، ونظل نـرفضه حتى نغيّره،!! 10

الـثلاثـاء 2007-09-04:
4- يـا خبـر !!! لعلـه خيـراً! 12

الإربعاء 2007-09-05:
5- اختبار ذاتى (استبار) لأستاذ بكلية الطب 17

الخميـــس 2007-09-06:
6-الـورطة .. (أُكمِلُ .. أم أتـوقَف؟) 21

الجمعـــة 2007-09-07:
7- بـــدال مـا تـثـــور تفِـــنَ 25

السبـــت 2007-09-08:
8-.... دستور يـا الـدستور (تـانى مرة) 28

الأحـــد 2007-09-09:
9- زكى نجيب محمود – و"الـشرق الفـنان" (1) 33

الإثنيـن 2007-09-10:
10- الـشرق الأوسط : تـلفيـق خطـر (2) 37

الـثلاثـاء 2007-09-11:
11- "المجرمـون أوْلى بـالمواجهـــة" 42

الإربعاء 2007-09-12:
12- لمـاذا أكتب؟ لمن؟ ومـاذا بـعد؟ 45

الخميـــس 2007-09-13:
13-.. الخوف الإبـداعى .. والـرعب المُجَمَّدْ 47

الجمعـــة 2007-09-14:
14- "لـعبـــة الخـــــوف" (1) 52

السبـــت 2007-09-15:
15-.. لعبـــة الخـــوف (2) 55
الأحـــد 2007-09-16:
16-حركية "الأسطورة الذاتية" نحو المطلق 60
الإثنيـن 2007-09-17:
17-الدعوة عامة، والبداية مع نجيب محفوظ...!! 66
الثلاثاء 2007-09-18:
18- مع الناس.. فى رحابه تعالى 69
الإربعاء 2007-09-19:
19- رسالة عمرها 21 عاما- بعد لقاء عابر 72
الخميـــس 2007-09-20:
20- قراءة فى "أحلام فترة النقاهة" (1) 74
الجمعـــة 2007-09-21:
21- بريـــد/حـــوار الجمعة 79
السبـــت 2007-09-22:
22- بريد/حوار الجمعة (يوم السبت) بقية 85
الأحـــد 2007-09-23:
23- "بعض" وصف "بعض" مصر!!! 2007 (1) 97
الإثنيـن 2007-09-24:
24- بعض وصف "بعض" مصر !!! 2007 (2) 104
الثلاثاء 2007-09-25:
25- بعض وصف "بعض" مصر !!! 2007 (3) 107
الإربعاء 2007-09-26:
26- تعرية زيف واغتراب التواصل بين البشر: (بالإبداع أو المرض) 112
الخميـــس 2007-09-27:
27- فى شرف صحبة نجيب محفوظ (1) 117
الجمعـــة 2007-09-28:
28- بريد/حوار الجمعة 125
السبـــت 2007-09-29:
29-إبداع الشخص العادى، وإبداع المرأة !! 135
الأحـــد 2007-09-30:
30-الصوفية والفطرة والتركيب البشرى 138

السبـــــــت 15-09-2007

15- "لعبـــــــــــــــة الخـــــــــــــــوف"(2)

.. يـا فـلان (ة) انـا من حقى أخاف حتى لـو.....
(أكْمِلْ أىّ كلام)

.. يـا فـلان (ة) أنـا خـايـف أخـاف لحسن.....
(أكْمِلْ أىّ كلام)

نصيحة بـادئـة: من الأفضل لمن لم يقرأ يومية أمس 9/14 أن يمر بها قبل أن يقرأ هذه الحلقة، حتى يتعرف على شكل ومواصفات العلاج الجمعى التى تدور فى إحدى جلساته هذه اللعبة

شكراً.

ملحوظة: لن نتكل بأى تفصيل عن كل الذين لعبوها، لأن ذلك قد يضطرنا إلى شرح مطول لكل حالة من ناحية، كما قد يتطلب الاستدلال من جلسات سابقة أو لاحقة على التأويل والتفسير، وكذلك قد يتطلب شرح بعض التفاصيل التى قد تتجاوز الغرض من تقديم اللعبة هنا، هكذا .

رجـاء: نرجو من الذى حاول اللعبة مع نفسه أمس أن يدع محاولته الخاصة جانباً، ولو مؤقتاً.

كما نرجو من الذى لم يحاولها بعد، أن يؤجل محاولتها حتى ينتهى من قراءة يومية اليوم، وألا يحاولها بعد قراءة اليومية إلا بعد فترة ولو قصيرة (ربع ساعة فأكثر)

اللعبة

.. يـا فـلان (ة) انـا من حقى أخاف حتى لـو.....
(أكْمِلْ أىّ كلام)

.. يـا فـلان (ة) أنـا خـايـف أخـاف لحسن.....
(أكْمِلْ أىّ كلام)

سوف نقدم الاستجابات دون انتقاء وإن كان قد أعيد تنظيمها بشكل يخدم محاولة التحقق من الفرض الذى عرضناه أمس والذى نعيد صياغته على الوجه التالى

"إن الخوف حق طبيعى للبشر،

ونحن لا نعترف بذلك،.. فنخاف أن نخاف"

الاستجابات:

(1) فوزى: يا أحمد أنا خايف أخاف لاحسن د. يحيى يزعل منى يا أحمد أنا من حقى أخاف حتى لو الدنيا اتطربقت

لهذا المريض وضع خاص، فهو حاد الذكاء، حاد الحضور،لا يقرأ ولا يكتب، فقد ذراعه فى محاولة انتحار، لكنه ما زال يعمل يوميا فى صيانة ورعاية الحدائق (جنايْنى) وهو يكسب بذراع واحدة أكثر من أى شخص فى مهنته، وقد أفاده العلاج مع الأدوية فى ضبط نوبات نزْوية ونكسات ذهانية، وكان أثناء هذه النوبات يؤذى أولاده وزوجته لدرجة خطرة.

نلاحظ فى استجابته هنا انه قلب ترتيب اللعبة، وهذا غير مسموح به عادة، ولم نطلب منه إعادتها (الأمر الذى نفعله عادة حرصا على توحيد الطريقة)

إن ترتيب إعلان **"الحق فى الخوف"** قبل الاعتراف "بالخوف من الخوف"، بدا لنا فى اتجاه أن يحقق الغرض بشكل أدق: من حيث أنه يؤكد ابتداءً ما هو غير شائع لدينا (لدى الشخص العادى) وهو: **إن الخوف حق نحن ننكره على أنفسنا،**

لعلنا راعينا فى تأليف اللعبة أن يكون الإعلان عن **الحق فى الخوف** سابق لإقرار **الخوف منه** لغرض التنبيه إلى هذا الاحتمال الغائب عن بؤرة التركيز فى العادة، أى أنها محاولة نحاول أن نرفع من خلالها الوصاية على استعمال هذا الحق، ولو جزئيا.

فى حالة فوزى نلاحظ أنه يبدو وكأنه يراعى شعور المعالج الرئيسى أساسا باعتباره والداً، حيث أن هذا الطبيب الوالد اتفق معه مرارا على أن شرط حضوره المجموعة هو ألا يؤذى أولاده حتى تحت زعم أن ذلك بسبب مرضه.

هناك احتمال أن فوزى عمل حساب "زعل هذا الطبيب/الوالد" ليس لأنه أعلن تمسكه بحقه مباشرة فى الخوف، ولكن لأن هذا الإعلان قد يترتب عليه إطلاق سراح اندفاعة خطرة، يقف منها هذا المعالج الأب بالمرصاد.

يدعم هذا التفسير ما أكمل فوزى به عبارته الثانية **"حتى لو الدنيا اتطربقت"** - إذ يبدو أنه حين يخاف، او حتى يتهدد بإعلان الخوف -دون أن يتذكر حضور السلطة الوالدية ينفجر حتى "يطربق" الدنيا عاليها فى سافلها فعلاً

الأمر واضح سواء من ملاحظة تقديم وتأخير العبارات أم من المحتوى

(2) أحمد: يا فاطمة أنا من حقى أخاف حتى لو حاسيب الناس خالص انا خايف أخاف لاحسن الناس ينتقدونى، ينتقدوا كلامى وأفعالى يعنى.

يبدو أن استعمال حق الخوف هنا عند أحمد يترتب عليه أن ينسحب بعيداً عن الناس، هل يا ترى ليخفى عنهم خوفه، أم تجنباً لحكمهم عليه كما يقول؟ أم مراعاة لشعورهم؟

يلاحظ أيضا أن أحمد يضع فى الحساب انتقاد "كل الناس" مقارنة بفوزى الذى حدد خوفه من "زعل الطبيب الوالد"

استجابته فى العبارة الثانية تظهر حساسيته للنقد سواء لكلامه أو لسلوكه، مما يؤكد الفرض الذى قرأنا من خلاله استجابته الأولى التى أشارت إلى أن استعمال حقه هذا قد تكون محصلته هى: اللجوء إلى الانسحاب بعيدا عنهم تحسباً لهذا الموقف الحُكْمىْ من الآخرين

(3) فاطمة: يا زكية أنا من حقى أخاف حتى لو اضطريت أعمل حاجة تزعَّل يا زكية أنا خايفة أخاف لاحْسن أعمل حاجة تزعل الناس

الاستجابة هنا تكمل بعضها بعضا: ذلك لأنه يبدو أن خوف فاطمة أن " تعمل حاجة تزعل" لو أنها استعملت حقها، هو هو الذى "يخيفها من خوفها" تجنبا لنفس الفعل -هذا يختلف عن استجابة فوزى الذى يتردد فى استعمال حقه فى الخوف لأنه يعمل حساب الوالد الطبيب القامع الراعى معا.

(4) زكية: يا د. يحيى أنا من حقى أخاف حتى لو الناس تلوم على يا د. يحيى أنا خايفة أخاف لاحْسن الخوف يرجع لى تانى.

هنا أيضا بدا أن الحرمان من حق الخوف مصدره مجموع الناس / السلطة (المجتمع - الأسرة - الآخرين) وكأن الناس اتفقوا، ليس على أن يحمونا من الخوف، وإنما على أن يمنعونا من الخوف، بحرماننا من حقنا فى الخوف، مع أننا نعتبره ***هنا من خلال هذا الفرض*** بداية للسيطرة عليه، أو الاستفادة منه . يبدو أن "زكية" قد استشعرت هنا أن الناس، تلومها إذا استعملت "حقها فى الخوف"

من هنا وجب علينا أن نعيد النظر فى هذه النصائح المكرره التى يتبادلها الناس طول الوقت "لاتخف لاتخف"، "ما تخافش، مايهمك"، وربما نصحنا أن نستبدلها أحيانا بأقوالنا الشعبية "خاف وخوّف" "الخوف من الله واسع"، "مِنْ خاف سِلِمْ"... إلخ

الاستجابة للعبارة الثانية تؤكد ظاهرة علميه أقرب إلى ظاهرة التوقد kindling وهى تعنى أن إطلاق سراح سلوك معين، (مَرَضِىّ، أو صِحّى) المرة تلو المرة إنما يسهل انطلاقه بعد ذلك أسرع وربما أشد، ومن هنا تنبهنا هذه الاستجابة إلى أن السماح بالخوف دون استيعابه أو معايشته ليتكامل مع جوانب أخرى من الوجدان وغير الواجدان، يسهل ظهوره سلبيا المرة تلو المرة.

(5) حمزة: يا حامد أنا من حقى أخاف حتى لو خايف ما اللى حايحصل يا حامد أنا خايف أخاف لاحْسن يحصل معايا اللى هايحصل

تحريك حق الخوف- بالعبارة الأولى - مورس هنا ليحضر جنبا

إلى جنب فى مواجهة كل الاحتمالات "اللى حايحصل"، لكن حين لحقته العبارة الثانية هكذا تبين لنا كيف أن حمزة أيضا يستعمل الخوف من الخوف ليحول، أو حتى لينكر أو يقلل من احتمالات "اللى حايحصل". التعارض هنا ليس مرفوضا، الأمر يتوقف على مدى المسارعة بالمحوundoing قبل السماح بالاعتراف بالحق فى الخوف.

(6) ليلى: د. سعاد أنا من حقى أخاف حتى لو أضيع
يا د.سعاد أنا خايفة أخاف لاحسن أضيع

الاستجابتات تكمل إحداهما الأخرى، فاقرار حق الخوف وصل إلى درجة الإقدام حتى بمغامرة الضياع، وهو هو (الخوف من الضياع) هو الذى يحول دون السماح للخوف (أو الاقرار بالحق فى الخوف).

(7) حامد: يا فوزى أنا خايف أخاف لاحسن يتكرر ده معايا تانى
أنا من حقى أخاف حتى لو يتكرر معايا تانى

نفس الحكاية : ما يسمح بالخوف هو هو ما يخيف من الخوف، علينا أن ننبه أن تكملة اللاعب (المريض أو المعالج) لنفس الاستجابة بغض النظر عن العبارة التى يسبقها، أو الاستدراك، أو الانتباه، حرف الجرّ، قد يكون دليلا على صعوبة الفهم أو أنه لم يلتقط قواعد اللعبة بالقدر الكافى.

(8) عبد الفتاح: يا حمزة أنا من حقى أخاف.. حتى لو أى حاجة اتغيرت
يا حمزة أنا خايف أخاف لاحسن أى حاجة تانى تحصل

يوجد شك هنا (وهذا كثيرا ما يحدث) أن يتغافل اللاعب (المريض أو الطبيب) حتى الربط المقصود به تحريك الوعى وقبول التحدى، مع هذا الفرض استقبلنا كلام عبد الفتاح **"حتى لو أى حاجة اتغيرت"** باعتبار أنه أغفل لفظ "حتى" أصلا، فأصبحت **"أنا من حقى أخاف... لو أى حاجة اتغيرت"**. الخوف الحقيقى (الذى هو حق طبيعى) هو من التغيير، أى تغير (حتى إلى أحسن).

أما لو اعتبرنا أنه يقصد حتى، فيمكن أن نقرأ استجابته على أنها حقه فى الخوف، بغض النظر عما يتغير أيا كان،

الاستجابة للعبارة الثانية تؤكد افتراضنا الأول (أنه ألغى "حتى فى العبارة الأولى") لأنه بدا أن خوفه من الخوف هو تثبيت "للساكن"، من حيث أن الخوف هو دليل على حركة ما فى اتجاهٍ ما.

(9) يحيى: يا د. أشرف أنا من حقى أخاف حتى لو كنت متصور إن أنا ما باخفش
يا د. أشرف أنا خايف أخاف لاحسن اتعطل.

ملحوظة: (عادة ما يؤجل دور لعب المعالج الرئيسى إلى الآخر، مهما جاء دوره مبكرا اثناء اللعب، وذلك حتى لا تبدو استجابته نموذجاً للاستجابة المطلوبة خشية التقليد.)

هكذا يتعرى المعالج الرئيسى، وبما أنه هو "أنا"، فكل ما سوف أقوله هو مجرد احتمالات لا أكثر:

ابتداءً: لابد أن نقرّ، أو حتى نفترض أن الاستجابة هى تلقائية وليست بقصد العلاج، ولا بأى غرض آخر، إلا أن يتعامل المعالج مع اللعبة مثل المريض سواء بسواء، ليصب كل الجهد فى النهاية فى العلاج الممتد معاً.

مع مرور الزمن وتزايد الخبرة، يتصور المعالج عادة أنه تخطى مراحل كثيرة فى مسيرة نموه، أو: وهو يحاول أو أن يساعد مرضاه على تخطيها، وقد بدا المعالج هنا فى استجابته للعبارة الأولى أنه ينبه نفسه فالآخرين: أن عليه أن يعيد النظر باستمرار فى تصوراته عن نفسه، فما هو إلا بشر مثله مثل غيره، وبالتالى فمن حقه أن يحتفظ بحقه فى التفاعل إذا تجلى فى خوف أو خلافه

الاستجابة الثانية ربما تتعلق بموقف هذا المعالج بالذات من حيث حرصه ألا يعيقه أى ضعف أو استسهال عن مواصلة سعيه لما يتصوره رسالته، فهو يخشى لو سمح للخوف أن ينطلق على سجيته أن يكون ذلك عائقاً فى طريق ما يتخيلة واجبه أو مهمتة، التى لابد أن تتواصل طول الوقت بشكل أو بآخر.

(10) عبلة: يا زكية أنا من حقى أخاف حتى لو علشان أنا تعبانة يا زكية أنا خايفة أخاف أكتر من كده لاخسن علشان مخنوقة

أقحمت عبلة لفظ عشان فى العبارتين الواحدة تلو الأخرى وكثيرا ما يتكرر ذلك فى مثل هذه الألعاب، وذلك يشير إلى غلبة ما يشاع عن العلاج النفسى التبصيرى والتبريرى وأنه يبحث فى الأسباب عادة وهو ما يتفق مع ما يسمى الحتمية السببية الأمر، الذى يتراجع فى العلاج الجمعى حيث يكون التركيز على "الآن"، و"المعنى"، و"الهدف"، طول الوقت.

ثم نلاحظ أنه بالرغم من "علشان" التى استعملتها عبلة إلا أن ما ورد بعدها هو مجرد ذكر للمعاناة "تعبانة"، "مخنوقة" الأمر الذى ليس له علاقة لا بالحق فى الخوف ولا بالخوف من الخوف.

وبعد

أعرف طبعا أن متابعة هذه الاستجابات كتابة صعبة، أو شديدة الصعوبة، لكننى لمن أجد سبيلا إلى "هزّ الشائع" إلا بعرضها هكذا - حتى عرضها بالصوت والصورة قد لا يوصل المراد، ناهيك عن أننا لم نأخذ إذن المشاركين للعرض العام.

ملحوظة: كل الأسماء هى أسماء بديلة دون استثناء.

الأحـــــــــد 16-09-2007

16- حركيـــــة "الأسطـــــورة الذاتيـــة" نحـو المطلـــق

قبل النقد الحالى

أثناء بحثى فى أوراقى عثرت على هذا العمل النقدى ولم أستطع أن أتذكر ما إذا كان هذا المقال النقدى (المقدمة) قد نشر من قبل أم لا، بحثت فى الموقع، وفى كل الأماكن التى أنشر فيها نقدا: الهلال، ووجهات نظر، أخبار الأدب، فلم أجد أنه نشر.

ترددت قبل أن أنشره فى زاوية "يومياً"، ثم تذكرت أنها ليست إلا **"الإنسان التطور"**، وقد كانت بداية نشر نشاطى النقدى فيها من أول "وعى آخر، نعيم عطيه" وحتى ليالى ألف ليلة لنجيب محفوظ مروراً بأفيال فتحى غانم ورباعيات جاهين وسرور والخيام...وغيرها

أشفقت على من لم يعرف هذا الجانب من كتابتى، أو الذى لم يعرفنى ابتداء إلا من خلال هذه الزاوية اليومية، لكننى رجحت أن تظل هذه الزاوية صاحبة الفضل فى احتواء نشاطى المتناثر مثلما عملت المجلة الورقية الأم "الإنسان والتطور" طوال ربع قرن.

أحسب أن المقال النقدى الحالى ليس إلا مقدمة لدراسة مقارنة أطول للعملين الأدبين الذيت يتناولهما، لكنى أسارع بنشر المقدمة كما هى، من يدرى ماذا يتم قبل ماذا؟!

****

والآن: إلى كويلهو ومحفوظ

ماهى حكاية **"الأسطورة الذاتية"** التى تكررت عشرات المرات فى رواية باولو كويلهو **"السيميائى"** أو **"الكيميائى"** أو **ساحر الصحراء**؟ هل لها علاقة بالأسطورة عامة، وبالدين، وبالتطور، وبالسحر، وبالخرافة، وبالجنون، وبالإيمان، وبالله سبحانه؟ لماذا انتشرت رواية السيميائى التى تتناول ما أسمته "الأسطورة الذاتية" كل هذا الانتشار بكل تلك اللغات؟ لا أظن أن السبب هو تميزها الأدبى الخاص، ولا بساطة الحكى مع ثراء الخيال. أين هى – بمقاييس النقد التقليدية – من مائة عام من العزلة (جارثيا ماركيز) أو العطر (باتريك

زوسكوند) أو الخرافيش أو ابن فطومة أو كثير من أحلام النقاهة (محفوظ)؟ رجحتُ أن سبب انتشارها قد يرجع إلى أنها ظهرت فى وقت مناسب (من تطور الإنسان المعاصر، فى الغرب خاصة) لتعلن الاعتراف بمساحة أساسية من الوجود البشرى، كاد العلم المؤساتى ينكرها وهو يصنفها خرافة لا معنى لها، كما راحت المنظومات المنطقية من أعلى تعتبرها ردة دينية بدائية (خصوصية) لا لزوم لها.

الأسطورة تاريخا هى جزء جوهرى من تاريخ تطور الوعى البشرى، وقد قامت بدور رائع فى تشكيل هذا الوعى حتى وصل إلى ما هو عليه، ثم كادت تنال جزاء سنمار بإلغائها أو إنكارها أو تشويهها. لن أعرج إلى تجلياتها طوليا. فلن أناقش - بشكل مباشر- علاقتها التاريخية بما نحن فيه الآن عامة، وما آل إليه الدين خاصة. سوف أكتفى بوضع فرض يمكن من خلاله أن نقرأ كويلهو من موقعه الشخصى، ومن خلال السيميائى معا، مع الإشارة إلى رحلة ابن فطومة لنجيب محفوظ.

يحمل الإنسان تاريخه البيولوجى والمعرفى (**أو إن شئت الدقة: البيولوجى/المعرفى**") بشكل يستحيل إنكاره، ناهيك عن التنكر له، وهو لا يكون جديرا بهذا التاريخ إلا إذا تحمل مسؤوليته ليواصل انطلاقه. وصل الإنسان بعد رحلة طويلة من المعاناة، والقهر، والانتصار، والهزيمة، والفخر، والتحايل، والاستغلال، إلى موقع يسمح لوعيه أن يحيط بعدد من المتناقضات دون تناقض، وذلك فى عملية جدل متصل، لا يعى منها إلا بعض جوانبها بعض الوقت. من ذلك مثلا: إن إنسان اليوم هو شديد التفرد وهو يؤكد نفسه فى ذات مستقلة جدا، مستقلة عن العالم وعن الآخر وعن الكون من حيث المبدأ، وكأن كل فرد قد قرر أنه لكى يكون "ذاته" فلابد أن يكون كونا مستقلا كاملا بلا نقصان، لكنه ليس كذلك، ثم إن كل فرد، وهو كذلك، يجد نفسه - فى نفس الوقت - أنه لا يكون إنسانا إلا بانتمائه إلى نوعه فردا، فأفرادا، فجماعات، فثقافات، فى شبكة من العلاقات لا تنقصها درجة من الوعى. إن ما يجمع هذه الوحدات المستقلة فى شبكة متصلة هو التوجه معا توجها ضاما لا يخل بالذاتية ولا يحرمهما من التواصل لنكون بشرا لا آلهة. هذه المواجهة بين تأكيد التفرد إلى أقصاه، وبين حتمية التواصل فالامتداد إلى ما بعد مداه، هى- فى تقديرى- منبع (ومصب) ما يمكن أن يسمى "**الأسطورة الذاتية**"، على الأقل كما صورها كويلهو فى رحلة "الشاب".

حين بالغ الإنسان، لحقبة من الزمن، فى ما شاع تحت اسم "تحقيق الذات" أو "تأكيد الذات"، تنامت فرديته على حساب انتمائه إلى "آخر" من نوعه على ناحية، وإلى الكون على إطلاقه من ناحية أخرى، فراح ينظم حياته بظاهر القوانين والمواثيق ليؤكد حقه فيما أسماه حرية (**وتوابعها وبدائلها وتزييفاتها**) بأن يعيش كائنا اجتماعيا سياسيا فى حدود ما اتفق عليه من نظم معلنة مكتوبة، على أن يمارس بقيته بطريقة سرية: خاصة فى الحلم أو الخرافة. ثم تمادى العالم

الغربى والشمالى بوجه خاص فى تبرير هذه "التسوية" بتعظيم بعض المناهج والأجديات حتى التقديس: من أول منطق أرسطو حتى أصنام حقوق الإنسان وديانات الديمقراطية المكتوبة والعلم المؤسساتى والفن المهاراتى والتنمية الكمية، ليكن فهذا جيد بشكل ما، لكن أية تسوية تصبح خدعة خطيرة إذا طال عمرها عن فاعلية دورها، فترسخت وكأنها الحل النهائى (تماما مثلما يحدث على أرض فلسطين أو فى فكر فوكوياما وهو يعلن نهاية التاريخ).

استشعارا بهذا الخطر: تسارع سعى المبدعين من البشر، كل فى مجاله، فى محاولة مراجعة المنهج وتطوير الإبداع أملا فى تجاوز خلاق إلى ما يمكن أن يحافظ على تنامى المسيرة البشرية، بدءا من اختراقات المنهج فى مجال العلم فى توجه نحو علم حقيقى أعمق وأشمل وأكثر انفتاحا، إلى تنشيط دور الشعر فى إحياء حركية اللغة وتخليق الوعى إلى غير ذلك، وكان من البديهى وجود ضحايا ومضاعفات. تظهر بعض هذه المضاعفات على المستوى الفردى فيما يسمى الجنون، وعلى المستوى الجماعاتى والجماعى فى تنويعات حروب الإبادة ومفرقعات الإرهاب.

قرأت كويلهو وروايتيه: **الكيميائى، وفيرونيكا تقرر أن تموت،** من هذا المنطلق. كويلهو شخصيا عاش الرعب من هذا التنميط والميكنة والإملاء، فرفضها جميعا حتى جُنَ مكررا ودخل (أو أدخل) مستشفى الأمراض العقلية ثلاث مرات، ثم إنه انضم إلى الهيبيز، فالسحرة، وخرج من كل هذا مبدعا بسيطا جميلا متواضعا، وحين أراد أن يسجل بعض ذلك فى سيرته الذاتية لم يكملها ولم ينشرها (وحسنا فعل)، لكنه أثبتها أروع وأعمق وأبسط فى الكيميائى، وبدرجة أقل فى: **"فيرونيكا"**، التى بدت لى أكثر سطحية لا أكثر بساطة. غنى عن البيان أن الكاتب المبدع بحق ليس هو ما يكتب، لكنه ليس إلا ما يكتب، كما أن ما يكتبه ليس إلا هو (نؤجل هذه القضية مؤقتا).

"قال الشيخ: أنا ملك سالم.
فسأله الشاب (سانتياجو): لماذا يتحدث ملك إلى راع
كان منزعجا وفى أقصى درجات الحيرة
– هناك عدة أسباب لذلك، لكن فلنقل أهمها، وهو أنك **تمكنت** من أن تحقق "أسطورتك الذاتية"
ولم يكن الشاب يعرف ما هى "الأسطورة الذاتية".

– هى ما تمنيتَ دائما أن تفعله، كل منا يعرف فى مستهل شبابه ما هى أسطورته الشخصية ففى تلك المرحلة من العمر يكون كل شىء واضحا وكل شئ ممكنا....ولكن مع مرور الوقت تبدأ قوة غامضة فى محاولة إثبات أسطورته الذاتية "...." هى قوى تبدو سيئة، ولكنها فى الواقع تعلمك كيف تحقق أسطورتك الذاتية، فهى التى تشحذ روحك وإرادتك، لأن هناك حقيقة فى هذا العالم، فأيا كنت ومهما كان ما تفعله، فإنك عندما تريد شيئا بإخلاص، تولد هذه الرغبة فى روح العالم، تلك هى رسالتك على الأرض" ثم "... كل الأشياء هى شئ واحد، وعندما ترغب فى شئ، يتآمر العالم كله ليسمح لك بتحقيق رغبتك"

هذه البديهية التى أعلنها فى السيميائى "ملك سالم" منذ البداية ظلت تلح على الشاب، لم يعد الكاتب يذكر بطله باسم سنتياجوا بعد ذلك، بل ظل يكنيه بأنه "الشاب"، اللهم إلا فى الخاتمة التى نوجزها فيما يلى:

"كان اسمه سنتياجوا، ووصل إلى الكنيسة المهجورة بينما كان الليل على وشك أن يحل.." وبعد إغفاءة راح يسترجع رحلته، ثم راح يحفر تحت شجرة الجميز التى تترعرع فى موضع الهيكل، ثم يستأنف الحفر فيجد الكنز (فى نفس الموقع الأول الذى شهد حكيه لحلمه سبب كل هذا الترحال).

فلماذا كان كل ما كان و كنزه تحت قدميه من البداية؟ وماذا لو أن الساحر العجوز كان قد دله على ذلك؟ **سمع الريح تجيبه:** " لا، فلو أنى أخبرتك لما رأيت الأهرام، وهى آية فى الروعة، ألا ترى ذلك؟".

لكن كويلهوا ينهى الخاتمة، فالرواية، بأن تأتى الشاب الريح الشرقية من أفريقيا (لم تكن تحمل ريح الصحراء، ولا التهديد بغزو مغربى) . كانت تحمل عطرا يعرفه جيدا، وهى قبلة (من فاطمة) تهادت برقة، بمنتهى الرقة، حتى لمست شفتيه، وابتسم، كانت هى المرة الأولى التى تفعلها".

بدت لى هذه النهاية تراجعا بشكل ما، خيل لى أن كويلهو - هكذا- قد وضع الصحراء، والغزو على الطرف الآخر من الرقة والحب، مع أن الصحراء والحرب والتهديد والموت والمخاطرة كانت من أهم معالم الطريق إلى "روح العالم".

هل هذه النهاية الرقيقة الوديعة هى ما يفسر بها كويهلو نهاية رحلته شخصيا : " حيث آب إلى المعتقدات الكاثوليكية التى آمن بها والداه" (بعد تجربة روحانية عميقة وحادة)؟ مما قد يفسر أيضا نشاط كويهلو شخصيا مؤخرا فى تمويل رعايته للأطفال اللقطاء وكبار السن ..إلخ؟

نجيب محفوظ أنهى رحلة قنديل محمد العنابى (ابن فطومة) بعنوان يقول "البداية" (وليس النهاية) مقارنة بعنوان كويلهو "خاتمة". محفوظ، نبه فى هذه "البداية" : كيف أن قنديل يزمع أن يواصل رحلته إلى الجبل الآخر

"... ووقفنا أسفله ننظر إلى أعلاه فوجدناه يعلو على السحب ويتحدى الأشواق".

تنتهى الرحلة ليتركنا محفوظ وكل واحد فينا يشعر أن عليه أن يواصل رحلته فردا فى الممر الضيق الذى لا يتسع لناقة أو جمل ("... وكلكم آتيه يوم القيامة فردا")، ثم يخطر خاطر على قنديل: أن يسلم دفتر رحلته ".... إلى صاحب القافلة ليسلمه إلى أمه أو إلى أمين دار الحكمة ففيه من المشاهد ما يستحق أن يعرف، بل فيه نجات عن دار الجبل نفسها تبدد بعض ما يخيم علينا من ظلمات، وتحرك الخيال لتصور ما لم يعرف منها بعد" (ربما مما ليس كمثله شىء). وهل فعل محفوظ طوال حياته مبدعا غير ذلك؟

محفوظ بدأ رحلة ابن فطومة بعد الوطن، من دار المشرق (الإسلام)، لينتهى إلى ابتغاء وجه الحق تعالى دون تعيين او اغتراب، مرورا بدور الحيرة، فالحلبة، فالأمان، فالغروب. الخوف هو أن يستسهل القارئ أو الناقد ترجمة كل ذلك اختزالا إلى رموز محددة تشير إلى دول شيوعية أو رأسمالية أو شمولية قبلية فالموت أو غير ذلك. ليس من فخر المبدع أو من مهمته، أن يقدم لنا ما نعرف، برموز لا نعرفها ليؤكد لنا ما نعرف دونها (كما أسيء فهم أولاد حارتنا، خيبهم الله)، محفوظ قدم لنا أسطورة قنديل العنابى الذاتية حالة كونها فى جدل مع كل الأنظمة المتاحة على أرض الواقع الآن، لينتهى وهو يحفزنا أن يحقق كل منا أسطورته الذاتية بكل ما هو متاح، توجها إلى كل ما هو واعد.

عودة إلى كويلهو لأرفض ابتداء بعض ما جاءنى من تعليقات فرحة عن الكيميائى لمجرد أنه ذكر أهرام الجيزة، أو جعل الفيوم مسرحا، أو لما فهمت أنه ترحيب بنظرته الموضوعية الحانية لبعض سلوكيات المسلمين. هذا الموقف أو ذاك هو موقف طيب لكنه لا يمثل الواقع كما جاء على لسان ابن فطومة "ديننا عظيم وحياتنا وثنية"، لا يمكن أن تقارن طبطبة كويلهو على الإسلام والمسلمين بما غاص إليه محفوظ فى عمق إشكالة التعامل مع قضية الوجود الممتد، بدءا بما وجدنا أنفسنا فيه مسلمين. كويلهو كان مثل سائح أمين يرانا بكرم واحترام، لكن محفوظ راح يضعنا - مسلمين - فى بؤرة أسئلة الوجود، ربما لهذا انتهى كويلهوا كاثوليكيا طيبا، وما زال محفوظ وهو يقترب من المائة ، يكدح إلى ربنا كدحا، وكلاهما يدعونا أن نسعى إلى تحقيق أسطورتنا الذاتية (وليس مجرد تحقيق ذواتنا كما يشاع) كل بطريقته، الأمر الذى يحتاج إلى عودة قد تملأ مجلدا.

محفوظ، فى ابن فطومة، تحمل مسئوولية الحيرة الوجودية التى انتهى إليها الإنسان المعاصر، ولم يحلّها بهذا الحل السحرى الذى يفرح به أهل الغرب أكثر منا، فى حين نتمادى نحن فيما يشبهه حتى الخرافة. لو أن محفوظ كان هو كاتب السيميائى وهو فى موقعه مسلما بيننا هنا والآن، إذن لاختفت كل إيجابيات الرواية تحت عنوان الترويج للخرافة وللإيمان بالجان ... إلخ،

كويلهو - وهو ابن قومه - راح يقرص أذن ناسه حتى لا يذهب أى منهم بعيدا عن أسطورته الذاتيه، مهما بدت سحرا أو لاحت غامضة. ربما لهذا انتشرت الرواية عندهم.

أما محفوظ فهو يدعو قومه أن يتحمل كل واحد منهم مسؤولية أسطورته الذاتية وهو يبحث كيف يحافظ عليها جدلا مع مختلف الجارى على أرض الواقع الداخلى والخارجى على حد سواء.

****

بقيت كلمة أخيرة حول مضاعفات فشل تحقيق الأسطورة الذاتية، نوجزها فيما يلى :

ماذا لو قبل الواحد منا هذا التحدى بقبول أسطورته الذاتية، ثم تخلت روح العالم عنه، ولم تتآمر لتحقيقها، وفى نفس الوقت لم يعرف كيف يتعامل مع تلك القوى الغامضة التى تعمل على إنكارها لصالح تجليها؟ (أنظر بداية المقال: المقتطف فى حوار الشاب مع الشيخ ملك سالم)

الجواب عاشه كويلهو شخصيا (ما سبقت الإشارة إليه عن مرضه) كما صوره فى روايته "فيرونيكا تقرر أن تموت". الجواب هو: إن إجهاض هذه المحاولة قد يترتب عليه ليس فقط العدول عنها، وإنما التفسخ أمام زخم حركيتها المتناثرة، أو الانسحاب بعيدا عن المواجهة، فهو الجنون.

لا أعرج إلى جنون كويلهو فأنا لا أعرف عنه شيئا، وهو لا يعيبه أصلا. أكتفى بالوقوف عند جنون فيرونيكا، حيث قدم كويلهو رؤيته للجنون باعتباره تعبيرا رائعا عن رفض النمطية والتكرار واللامعنى (مثل بداية الشاب سنتياجو أيضا)، و فى حين انهزمت فرونيكا، ولو مرحليا' فإن سنتياجو الشاب فى السيميائى عملها وانتصر، كما أن فيرونيكا نفسها انتصرت فى النهاية حتى على مرضها الجسدى تماما مثلما انتصر كويلهو شخصيا فى حياته الخاصة.

المفهوم الذى قدمه كويلهو هكذا هو مفهوم جيد للجنون، لكنه ليس كل الجنون، فثم جنون أخطر وأعمق صوره زوسكند فى العطر (مثلا) حين غاص حتى نخاع الدنا DNA منذ الولادة ,وهو يعلن الانفصال الحاسم عن هارمونية الكون كله، وليس فقط عن البشر فرادى وجماعات، هذا الانفصال عن الكون كله هو الذى يحيل الكيان البشرى نَيْزَكاً غريبا دائرا فى فلكه الخاص بما يمثل الجنون المتأله القاتل، كما صوره زوسكند فى رحلة باتيست جرينوى، فى العطر، ربما كان هذا المستوى من الجنون فى عمق ورعب خطورته هو ما يقابل على أقصى الجانب الإيجابى الآخر ذلك الوجود الرائع الواعد الذى يدعونا محفوظ لمواصلة السعى إليه

فى حين يظل جنون فرونيكا هو الوجه السلبى الذى يقابل رحلة الشاب سنتياجو الناجحة!

- كتبت مؤخرا أغانٍ للأطفال داخلنا جاء فى أحداها: كل واحد هوه نَفْسُه، بس نفسه هيه برضه كلنا، مالى وعيه بْربَنا". ما رأيكم.

- كتب هذا العمل قبل رحيل شيخنا

الإثنيـــــن 17-09-2007

17- الدعـــوة عامـة، والبدايـة مع نجيـب محفـوظ....!!

ما رأيكم فى تحديد موضوع لكل يوم؟

كنت أفضل تأجيل طرح هذا السؤال حتى يتم شهر على صدور الإنسان والتطور يوميا هكذا، لكننى وجدت نفسى فى بيتى فى "دهب"، وحدثت أشياء طيبة جدا، الحمد لله،

أثناء العوم المقرر الجميل نطرت ببالى فكرة استوحيتها من كم الكتب التى أخذتها معى للوفاء بهذا الواجب اليومى الجديد، هو ليس واجبا تحديدا لكنه التزام مهم جدا، كان من بينها أحلام فترة النقاهة لنجيب مفوظ، أصداء السيرة الذاتية له أيضا، وكتب أخرى كثيرة عن الحب والغضب وعن بيولوجية الله وعن الموت والوجود وكلام من هذا. كنت أنوى أن أخصص هذه اليومية لمقتطفات من إحدى هذه الكتب، وبدأت بنجيب محفوظ، فوجدت أن الواجبات التى على هى كالتالى:

أولا: إكمال القراءة النقدية الطولية التى ظهر منها الجزء الأول فى كتابى **أصداء الأصداء** (المجلس الأعلى للثقافة) وخاصة أنها كانت ستتناول الحب والله والطبيعة البشرية.

ثانيا: قراءة نقدية لأحلام فترة النقاهة بنفس منهج قراءتى للأصداء (حلما حلما ثم قراءة طولية مشتملة)

ثالثا: قراءة تكاملية بين الأحلام والأصداء، وخاصة بعد الدراسة الشاملة للنص الكلى.

رابعاً: قراءة (**ربما نقدية**) لما خط بيده بتلقائية رائعة أثناء تدريبات استعادة القدرة على الكتابة (وقد سلمت الأصل للأستاذ الدكتور جابر عصفور واستأذنته – كمسئول أول عن لجنة حفظ تراث محفوظ- فى هذه القراءة المسئولة نقدا)

خامسا: تحديث خواطر كنت أكتبها – دون تسجيل- لمدة عام تقريبا (94-95) بعد معرفتى الوثيقة به، بلغت أكثر من مائتى صفحة، ووجدت أننى وضعت لها عنوان **"مع نجيب محفوظ".**

سادسا: نشر ما قمت بنقده من أعماله التى لم تنشر، مثل القراءة الأحدث **"للسراب"، و"حديث الصباح والمساء" و"رحلة ابن فطومة"** التى أشرت إليها فى يوميات أمس.

سابعا: قراءة نقدية لما تيسر من بقية أعماله.

بمجرد أن راجعت هذه الواجبات، وجدت أنها قد تستغرق عدة أعوام من **"يوميا"**، فإذا أضفت إليه ما يمكن أن يتنامى من تعليقات ونقد للنقد فانظر ماذا يمكن أن يصير بعد ذلك.

ثم إنها دعوة يومية لمن يريد أن يسهم بنقده وملاحظاته في باب **"المحررون والضيوف- الإنسان والتطور"** وهو الإضافة تحت الإنشاء التي ندعو كل من يريد أن يسهم فيها، وبالتالي تكون فرصة للنشر الإلكتروني لدورية نقد أعمال نجيب محفوظ التي ناديت بها منذ نوبل **(اقتراح لإنشاء دورية فصلية في نقد نجيب محفوظ)**

قلت أخصص يوم الخميس لنجيب محفوظ

ثم خطر ببالي بعد ذلك أن أخصص يوم الجمعة للرد على رسائل المداخلين والمعلقين من زوار الموقع جماعة، مع أنهم حتى الآن ما زالوا نفس الأصدقاء الطيبين الذين لا يزيدون عن عدد أصابع اليدين، لكنني وجدت أن الرد الخاص قد يكون محدود الفائدة، فلتكن يومية الجمعة مخصصة لذلك

بعد ذلك فكرت- وحسب ما يصلني من استجابات عن لعبة الخوف التي نشرتها أمس- أن أخصص يوما ثالثا نسميه **يوم ألعاب التعرى والمراجعة، أو "سر اللعبة"**

فتتبقى الأربعة الأيام حرة تستوعب ما يطرأ دون تحديد

ما رأيكم؟

ولو أنني - ربما استسهالا، وربما تنظيما، وربما أملا - قلت ، طيب، وماذا عن الأبواب الثابتة الثرية التي كانت تميز الإنسان والتطور مثل باب **"مقتطف وموقف"** (والذي استعرنا منهجه في **يومية يوم 9 سبتمبر** ونحن نتناول بالنقد مقال الأستاذ الدكتور **عاطف العراقي** في ذكرى المرحوم الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود؟

إذن:

- **يوم لنقد محفوظ**
- **ويوم لعبة "سر اللعبة"**
- **ويوم رسائل القراء وحوارات**
- **ويوم مقتطف وموقف**

يتبقى ثلاثة أيام، نتركها حرة بالأمر، حتى لا تزاحمنا أبواب **"مثل وموال"** و**"الموسوعة النفسية"**، فلا يبقى أمامنا إلا يوم واحد نقول فيه رأيا جديدا أو نعرض فكرة مبتكرة.

أنا أكره فرط الالتزام خوفا من التوقف، ولكن أليس في ذلك ما يجعل بعض القراء الذين يفضلون بابا بذاته، يكتفون بيومهم دون سائر الأيام بدلا من إضاعة وقتهم كل يوم وهم يفاجأون بالموضوعات، علما بأنني أيضا كما أفاجأ بها أكتب.

ملاحظة :

العجيب أن كل الأصدقاء الذين كانوا يلحون علىّ طوال الأعوام السابقة **(حوالى ثمانية أعوام)** أن نعيد إصدار الإنسان والتطور، لم يعلقوا ولا بكلمة، ولم يساهموا ولا بحرف فى التحرير أو التعليق مع أننى طلبت ذلك صراحة من الأقرب فالأقرب، وأغلبهم يستعمل هذه التقنية الإلكترونية الأحدث للمعرفة والتواصل.

أما ثلة جلسة الثلاثاء فى العيادة، فلم أفهم حتى الآن عزوفهم عن الإسهام أو التعليق، وبينهم من أسهم فى الإنسان والتطور المجلة الأصل

ثم إنى لم أجد تفسيرا لعزوف ابنائى وبناتى فى قصر العينى أو دار المقطم للصحة النفسية (إلا واحدا)، تُـــرى هل هم لا يجدون الوقت، أم أنهم ممن **"لا يهمهم الأمر"**، وكيف سأتعرف على ما أكتب إلا من خلالهم مع الآخرين؟ كيف أعرف **"لمن أكتب"** إن لم يصلنى ما يرشدنى إلى ذلك، خاصة وأن ما وصلنى حتى الآن وهو تشجيع طيب ، لكن **أغلبه** أشبه بالمجاملة أو التهنئة أو التساؤل.

لقد قلت من أول يوم أن هذه اليومية هى مجرد افتتاحية لمجلة الإنسان والتطور فى شكلها الإلكترونى الأحدث.

فما الحكاية

صحيح أننى كنت أكتب أكثر من نصف كل عدد سواء باسمى، أو بدون توقيع ، لكن كل هؤلاء وغيرهم كتبوا أيضا

أهلا بهم

وبكل من يهمه الأمر

ما الحكاية؟

الثلاثـــــــاء 18-09-2007

18- مـــع النـــــاس.. فـــــي رحابـــــــه تعالـــــــى

عثرت على هذا الكلام فى أوراقى بتاريخ 10-12-1976، بعد زيارة قصيرة للسعودية، تمكنت خلالها - **بفضل الله** - أن أؤدى فريضة الحج، وأن ألتقى بإنسان "خاص"، لم أكن أتصور أننى سألتقى معه هناك فى الرياض! كما عثرت على خطاب أرسلتُه إلى هذا الإنسان عقب عودتى مباشرة، حتى أننى نسخته باليد قبل إرساله. إذ يبدو لى أن لقاءه كان ذا دلالة.

أما الكلام المرسَل فكان كالآتى:

كان الأمر عسيرا رائعا علىّ طول الوقتِ، فرحٌ أنا بما أسبغه الله علىّ، متردد فى أن أكون إلا ما أكونه فى رحابه تعالى. الحمد لله.

لا التسليم ممكن. ولا الانسحاب هو من طابعى، ولما أكرمنى الله بالفشل فى التقليد الأعمى، أكثر فأكثر، كان علىّ أن أعلن عجزى بوقوف وحيدا لا أستسلم، ثم بتراجعى واعيا ساعيا داعيا الله ألا أتوقف طويلا..

رجعت شاكرا واثقا مطمئنا، صامتا أيضا.

***

كنت أجلس على مكتبى بالعيادة، بين مريض ومريض، جاءنى الخاطر فأجلتُ لقاء المريض التالى، كتبت عبارات ترجم حالتى.

مزقت الورقة، ثم عدت فجمعتها لأقرأ مايلى:

ذلك اليوم ...

... ودخلت التجربة فوراً وكاملاً، وهأنذا أكاد أخرج منها فى ظروف لم تختلف كثيرا عن تصورى من قبل، وإن كانت الأمور قد غمرها نور يُعْشى أحيانا، كما يضئ كثيرا من زوايا الظلام المتلالئة.

فهل آن الأوان لأن أكتب فى هذا الموضوع الذى ما تطرقت إليه إلا رمزا ..؟

وهل هو واجب علىّ أن أقول ما أعرف؟

أم هو تجاوز خَطير إلى ما لايصح أن يقال .. مما لم يُصرَّح لمن هو أفضل منى ألف مرة بالحديث عنه ؟

أظن أننى لا أستطيع أن أضع رأسى فى الرمال

وفى نفس الوقت لا أستطيع أن أصرح بكل ما أتصور أنه الحق

فلأكتب لنفسى .. أو لمن يهمنى ألا يبعد عن الدين كفرا وغباء لمجرد أنه قد تولى أمره غير أصحابه

أيضا أكتبه لمن يريد وجه الله ولا يعرف السبيل إليه إما من كثرة التجهيل، وإما من كثرة الوصاية والتسطيح، فلأكتب للحقيقة المجردة .

بعد أن أن عدت إلى قواعدى، لم أزد شيئا ولم أنقص شيئا، بل تأكد عندى ما كُلِّفت به من حمل الأمانة، الأمر الذى أضيفت إليه بعض التفاصيل البسيطة، ولكن لعلها خطيرة. ومن ذلك:

1- لما كان الإنسان الحالى غير قادر على استيعاب **التكامل** المبنى على رؤية الحقيقة فى هذه الظروف الطاحنة، فإن المجاهرة بتصوّره أو تصويره، أوالعجلة فى الدعوة إليه، تصبح جريمة إجهاض لا محالة .

2- لما كانت الرؤية الكاملة أكبر من استيعاب الفرد لدرجة الجنون، وأكبر من استيعاب المجموع لدرجة الذهول أو التنويم، كان لابد من تجزئتها وتنويع مصادرها وتخفيف لغة التواصل إليها .

3- هنا يظهر دور الدين بالتوجيه إلى استمرارية السعى إليه على مستوى العبادات والقواعد، وعلى الإنسان الفرد أن يقبل استحالة التكامل الجاهز **"الآن" .. فلا يتوقف أبدا.**

4- ذلك لأن الدين الذى هو طريق إلى الإيمان التكامل الخلاق الممتد، ذلك المطلب فى الأفق البعيد، فهو لازم لزوم الواقع، بمجرد البداية السليمة نحوه .. يتم يقين الوصول إليه، مع اليقين باستحالة تحقيق ذلك...

5- الإبداع الأصيل سبيل آخر، قد يكون انشقاقا مرحليا لازما، لكنه أيضا مرحلة تحرّك نحو التكامل الخلاّق نحونا، نحوه تعالى وتنزه، سبحانه عما يصفون.

إن هذه الرؤية بين الناس، وللناس، ومع الناس، ووسط الناس، ومدهوساً بالناس، وذائبا فى الناس، ودائرا بالناس، ومهرولاً كالناس ... هذه الرؤية تدعّم فضيلة التواضع، كما نفهم منها كيف يدخل الفرد فى المجموع "أدخلى فى عبادى"، ليخرج منه باستمرار، كما أنها تعِدُ بإمكانية الحضور فى الكل توجها إلى المطلق. فرداً فرداً، كدْحاً كدْحاً طول الوقت، فى ظل قانون الحياة النابضة الخلاقة.

هذا القانون ذاته الذى لابد وأن علاقتى به وثيقة - **ربما**

بـالـرغم منى أو بـفضل إصرارى والأهم: رحمة منه علىّ- هو الذى جعلنى أقابل مصادفه إنسانا فى غاية الذكاء والتواضع، **وهو أستاذ تاريخ فى جامعة الرياض** أفضّل ألا أذكر اسمه لأننى لم أستأذنه فى هذا النشر المحدود، وهو له عدة أعمال أخرى أدبية وفكرية. هو إنسان عالم متواضع سريع واضح مستوعِبْ، قال لى كلاما من بعيد عن الدين وكيف أنه يصب حتما فى نفع الناس، وعن علماء المسلمين وكيف أن أغلبهم فى النار، وعن علماء الذرة وكيف أنهم فى الجنة على الأرجح فهم الذين إذْ يصفون أسس تحلية مياه البحر يحافظون على الحياة ويعمرون الأرض، إلى آخر هذه الهمسات التى كان يعنى بها ما يعنى ونحن نتسامر، وهو لا يخطب ...

ولكنه بدا لى فى مجمل موقفه أنه كان أقرب إلى اليأس من جهة، كما كان منغرسا فى الناصرية من جهة أخرى. (ربما لهذا أسْمَى ابنه باسمه).

وقد قال لى أيضا أن الجزيرة العربية (ربما فيما عدا الشواطئ الغربية (الحجاز) والشرقية الدمام، وما جاورها .... الخ)، لم تعرف الإسلام إلا فى صدره ثم بعد حركة محمد بن عبد الوهاب.

وحين كنا نتكلم عن التراث الروحى قال إنه لايوجد حقيقة ما يسمى بالتراث الروحى فى شبه الجزيرة فقد هاجر هذا التراث مع الغزوات الأولى للإسلام

بهذه البساطة، فى هذه الأمور وغيرها، أوضح موقفه العارف المتواضع ، ثم إنه كان يعمل ليل نهار، ويصرّ على الاستمرار، ويوجه جهده الأول إلى البحث العلمى، وهو يكتب بالعربية وبالانجليزية، وما إنْ تلقى نظرة على الكتاب الذى ألّفهُ وأهدانى إياه بالانجليزية واسمه "تاريخ شمال الجزيرة" حتى تعرف أى نوع من الجهد والصبر يصفان عمله ويوجهانه..،ولم تمنعه كل هذه الانشغالات من أن يصر على توديعى شخصيا حتى المطار..

بعد عودتى ترددت فى الكتابة إليه، لا أريد أن أفقد صورته عندى كما لا أريد أن أقترب منه أكثر بعد ما تعلمت من خبرتى الماضية ما تعلمت من مخاطر الاقتراب حتى الفقد، قررت أن أتوقف عن تناول هذه الجرعة من هذه المقابلة الوحيدة، ويظل من حقى أن أحلم أنه يوجد فى مكان ما، ليس بعيدا، إنسانُ مثابر، يعمل، ويكافح، ويواصل وحيداً أو مع آخرين، ومع ذلك فكان لزاما أن أشكره وأودعه فى آن، فكتبت له خطابا، وحين أعدت قراءته، فضّلت أن أعيد نسخة لأحتفظ به،

ثم قررت الآن أن أنشرْ نص الخطاب هنا غدًا.

الإربعـــــــاء 19-09-2007

19- رسالـــــة عمرهـــــا 21 عامـــــا- بعـد لقـاء عابـر

الحاقا بكلمة أمس:

خطاب إلى صديق لم أره إلا مرة واحدة، ثم لحظات التوديع!

الأخ الفاضل الأستاذ"....." تحية من عند لله مباركة طيبة وبعد

فقد فكرت مرتين قبل أن أمسك القلم لأكتب لكم شاكرا ....، فهذا أمر رتيب أعتقد أنه ليس هو المقصد الأول من كتابتى هذه ..، ولكنى قررت أن يكون هذا هو مدخلى إليك لأقول ما أحسست به من خلال لقائك، وأنا أعلم ابتداء أنى قد لا ألقاك ثانية أبداً، مع أنى قد ألقاك كثيراً دون لقاء، فأنا أود أن أحافظ على هذا الانطباع الآمل الذى غمرنى وأنا أتابع روحك وذكاءك وعلمك وتواضعك، وسوف اعتبر – دون استئذانك – أن لى صديقا فى مكان طيب، يأخذ الحياة بجدٍّ لائق، ويعلم مسالك الحقيقة فيستوعبها، دون أن تُفقده اتزانه، بل هى تزيد أقدامه رسوخا وخطواته ثباتاً ..

أحس بوحدتك وسط هذا البحر المتلاطم من الأفواه الأبواق، والناس الدمى، والألوان الزائلة، والدقائق العجلى، وقد أحس بألمك وراء التفاؤل الهادئ على السطح وأنت ترد على السائل عن لونك **(أحوالك)** "ايش لونك" فتقول "ممتاز"، وقد أحس بيأسك وأنت تريد أن تسوى الأرض بما عليها من بنيان أقيم بلا أساس على شفى جرف هار، وقد لا أملك أمام هذا وذاك إلا أن أشاركك عن بعد كل هذه المشاعر، وأصر أن الغد – واليوم أيضا – هو مسئوليتنا المباشرة، فردا فردا، فالبناء الحضارى – على حد تصورى القاصر– هو بناء يحتاج إلى الجهاد والصبر والنفس الطويل، قد تعلن بدايته ثورة، وقد تلهب سرعته حركة سياسية ذات طابع خاص، ولكن وعى الأفراد وعمق العمل وإتقانه هى اللبنات التى ستبقى بعد كل هذا وقبل كل هذا ...، لذلك فقد اعتبرت لقائى بك – الذى تم بمصادفة طيبة – هو ضرورة لم تكن تكتمل زيارتى لوطنكم إلا به ، إذْ كيف يكون الحال لو رجعْت وليس فى ذهنى إلا أشكال البداوة التقنية **(أو البداوة التكنولوجية)** إن صح التعبير؟.... ولله الأمر من قبل ومن بعد

ولكن يا أخى تعال نقف قبل أن نأمل فى أن نسوى الأرض ليقوم بناء جديد، نقف لنتساءل: ماذا لو سويت الأرض ولم يقم بناء ولا يحزنون، بل ماذا لو سويت الأرض فأخذ البناء المنهار أهله معه، ولم تبق حياة بعد؟ إنى أعتقد أن الهدم والبناء لابد أن يسيرا جنبا إلى جنب وبذكاء حضارى خاص.

عندى أمل بشكل ما!

أقول لك كيف؟

مجموعة من البشر ربما فى هذه البقعة من العالم، وربما فى مكان آخر، سوف يدركون مسئوليتهم الجديدة، وقد يتجمعون حتى دون أن يلتقوا - فى عمل ذى اتجاه محدد يعيد دورة الحياة إلى اتجاهها السليم، وهم يتكاتفون- دون معرفة- مع مجموعات أخرى من كل اتجاه، وهذا كله يحتاج إلى نوع خاص جدا من الإيمان لعلك كنت تقصده حين أكدت مكرراً أن الإيمان هو الخير، وأن الخير هو ما ينفع الناس.

هناك - على ما أعتقد - اختلال فى اتجاه مسيرة البشر، جعل الضياع مَمَرّاً لِزجاً، والعدم هدفا فى ذاته، والدائر حول نفسه سعيد بشقائه ساخر من السائرين نحو الناس، نحو الله، ولابد لإصلاح هذا الخلل من إعادة النظر فى كثير من الأمور لعل أهمها هو البحث عن "لغة جديدة" يفهمها الشباب خاصة والناس عامة، تبين تلك الأمور مجتمعة التى ما جاءت الأديان إلا لتؤكدها، ولعل الإسلام كان من أبسطها وأوضحها فى تقديم هذا المفهوم المباشر للحياة، بما هى، وبما يمكن أن تكون.

يا ترى، هل لى أن آمل أن يتعاون التاريخ برؤية خاصة، مع العلم الحديث... من خلال فلسفة عملية متجددة.. ليعطينا هذه اللغة الجديدة، التى نستطيع أن نقدم بها الحقيقة لمن يبحث عنها فى أسلوب جديد يخدم الهدف الجوهرى المشترك، وهو **التكامل والاتزان الكونى الخلاّق؟ شاملا البشر ضمنه.**

سيدى:

أرجو أن تقبل عذرى إن أنا شطحت هذه الشطحات إذْ كتبت لك أشكرك على شئ ما، وأرجو ألا تكلف خاطرك فترد علىّ، فأنا لا أحب أن أخذ من وقتك، كما لا انتظر منك خطاب مجاملة أو مجرد التزام، وكل ما أعدك به هو أنى لن أكتب ثانية حتى لا أشغلك أوْ أتطفل عليك، فلتغفر لى هذا الانفعال، ولتقبل منى هذه الشذرات المرسلة دون ترتيب، ولتبلغ تحياتى وأمنياتى إلى كل من عندك ممن تفضلتم بالسماح لى بلقائهم: ناصر وأم ناصر، وعبد العزيز، وماريا، وجميع من يحبونك وتحبهم.

ولتسمح لى أخيرا أن أذكرك فى تخيلى حين تضيق بىَ السبل، فأطمئن إلى وجودك مكافحا فى صمت، متقنا فى تواضع، مثابرا رغم رؤيتك لكل السلبيات.

تحياتى واعتذارى
وعليك السلام
القاهرة فى 1976/12/10

الخميـــــــس 20-09-2007

20- قـــــــراءة في "أحـــلام فتـــــرة النقاهـــــــة" (1)

مقدمة ضرورية

"الحلم وعى آخر، والإبداع الحقيقى واقع أعمق وأبعد مدى من كل واقع. الواقع الإبداعى هو أكثر موضوعية من الواقع الظاهر، والإنسان هو الكائن الحى الوحيد - من بين ما نعرف - الذى يستطيع أن يتجول فى ذاته الممتدة خارجه، كما أنه يستطيع أن يحتوى الخارج فى طبقات وعيه، وأن يبرمج المكان فى الزمان، وبالعكس، ثم هو يعيد تشكيل وجوده والعالم بلعب جميل، أو استشرافٍ مخترق، أو كشفٍ مرعبٍ، أو حتى شُواش يتخلَّق".

.....

العجيب أن كثيرين تصوروا أن هذه الإبداعات المسماة: **أحلام فترة النقاهة** هى أحلام فعلا تحدث أثناء نوم شيخنا، وأنه لا يفعل إلا أن يرصدها مثلما يحكى أى منا حلمه، وقد نفى شيخنا ذلك عدة مرات، كما نبه إلى أن بعض ما يتبقى فى وعْيى الصحو من آثار أحلامه عند اليقظة يصبح المادة الخام التى ينسج منها إبداعات الأحلام المكتوبة.

إن الإبداع هو الإبداع، سواء كانت مادته أو مثيراته حلما، أم ذكرى، أم حادث أم شخص أم لا شئ.

هناك خطأ نقدى شائع حين يسارع البعض باختزال أى نص إلى رموز لها دلالتها، من أول جميدة فى زقاق المدق، حتى سماره فى ثرثرة فوق النيل. (كأمثلة من نقد إبداع محفوظ) صحيح أن نجيب محفوظ قد يغلب على وعيه الإبداعى أحيانا (أو نادرا) مثل هذا الإصرار على الترميز، لكن الصحيح أكثر أنه لا ينبغى أن يُعَمَّم النقاد هذا الموقف خصوصا على أحلام فترة النقاهة، ومن قبل **"رأيت فيما يرى النائم"** (وقد سبق أن تناولت هذا الأمر فى نقد هذا العمل السابق).

كل ما سبق هو مقتطف من مقدمة لمقال نقدى نشر فى وجهات نظر عدد يناير 2003 ، وقد استشهدت لفروضى بقراءة كل من حلم 25-26-27، كما يمكن الرجوع أيضا إلى نقدين آخرين لى نشرا فى **مجلة الهلال "ابداع الحلم وأحلام المبدع"، ومجلة إبداع عن إبداع أحلامه "أحلام نجيب محفوظ تعد من قبيل المنامات أم هى أحلام يقظة".**

المنهج

سوف أحاول أن أتبع نفس المنهج الذى اتبعته فى قراءتى النقدية للأصداء " كتاب أصداء الأصداء"، وأعنى بذلك أن أقرأ الأحلام حلما حلما، باعتبار كل حلم عملا قائما بذاته، ثم أقوم لاحقا (بما لم أكمله بعد فى دراستى للأصداء) بما أسميته الدراسة الطولية، وربما يكون من الأنسبُ (أو من الممكن) ربط العملين بعضهما ببعض .

القراءة النقدية

حلم (1)

نص الحلم:

اسوق دراجتى من ناحية إلى أخرى مدفوعا بالجوع باحثا عن مطعم مناسب لذوى الدخل المحدود، ودائما أجدها مغلقة الأبواب، وحانت منى التفاتة إلى ساعة الميدان فرأيت أسفلها صديقى، فدعانى بإشارة من يده فملت بدراجتى نحوه واذا به على علم بحالى فاقترح علىّ أن أترك دراجتى معه ليسهل علىّ البحث، فنفذت اقتراحه وواصلت البحث وجوعى يشتد، وصادفنى فى طريقى مطعم العائلات، فبدافع من الجوع واليأس اتجهت نحوه على الرغم من علمى بارتفاع أسعاره، ورآنى صاحبه وهو يقف فى مدخله أمام ستارة مسدلة، فما كان منه إلا أن ازاح الستارة فبدت خرابة ملأى بالنفايات فى وضع البهو الفخم المعد للطعام، فقلت بانزعاج:

- ماذا جرى؟

فقال الرجل:

أسرع إلى كباجى الشباب لعلك تدركه قبل أن يشطّب، ولم اضيع وقتا فرجعت الى ساعة الميدان، ولكننى لم أجد الدراجة أو الصديق.

ملحوظة هامة: علامات الترقيم، والخطوط التى تحت بعض الكلمات أو العبارات هى إضافة من عندى –وذلك لزوم النقد حتى أسهل على القارئ الرجوع إلى ما أردت الاشارة إليه.

قبل القراءة :

يقال عن نجيب محفوظ – شخصيا – أنه رجل تقليدى، عادى، ملتزم، هادئ، أسَرىّ، راضٍ، متكيف مع المؤسسات عموما، وفى نفس الوقت فإن المتابع لإبداعه لابد أن يلحظ موقفه الناقد الثائر المبدع وهو يعرّى، وقد يفكك، بل أحيانا يحطم أقدس المؤسسات التى تجمدت حتى أصبحت تؤدى عكس ما نشأت له.

بداهةً: لا علاقة مباشرة بين نجيب محفوظ "الشخص"، وبين نقد نجيب محفوظ "المبدع"، هذا تأكيد واجب، لو سمحتم.

.. فى الحياة البشرية المعاصرة تبدو **"المؤسسة الزواجية"**

من أهم المؤسسات الضرورية الصعبة، أو الحتمية الخطيرة. أغلب الأحياء الأخرى لا تضطر إليها بنفس الصورة التى آلت إليها عند الإنسان، ولأنها ضرورية حتى تاريخه، ولأن بدائلها فشلت - بصفة عامة- على المستوى العام، فالناس العاديون لا يقتربون من نقدها عادة، إلا بنكتة هنا، أو لمز هناك، وفى نفس الوقت يتواصل تخريبها من الداخل، **إما بمواصلة العمى، أو بالهدم المعلن أو الكذب أو الخيانة.**

مثل كل المؤسسات الضرورية المرحلية (المؤسسات الدينية الجامدة - مؤسسات الدولة خصوصا "الديمقراطية" - الأخلاق الفوقية) .. لا ينبغى الإقرار بسلامة وضع هذه المؤسسة الزواجية الحالى لمجرد أنه ليس هناك بديل مناسب، علينا أن نظل نستعملها، مهما كان نقصها ومهما عانينا من عيوبها، حتى نطورها أو نستبدلها مهما طال الزمن، حتى يتم ذلك نظل ننقدها ونعرّيها دون هوادة أو كلل.

وهنا يتجلى دور الإبداع الخلاّق.

قراءة الحلم:

هذا الحلم الأول يبدأ وهو يعلن أن الدافع الأساسى لسعى هذا الشاب **كان الجوع**، وأن الواقع الماثل كان **"الدخل المحدود"**، وأن النتيجة هى إعلان صعوبة إشباع هذا الجوع، وأن الزمن (ساعة الميدان) يقف بالمرصاد، فالسعى مع تزايد الجوع لا يمكن أن يمتد إلى مالا نهاية، وها هى عقارب الساعة تدور فى الميدان بلا توقف.

تنازل الشاب عن آلة بحثه - الدراجة - المفروض أنها أسرع من المشى- نتيجة لنصيحة صاحبه فزاد جوعه، وزاد بحثه، فلاحت له المؤسسة الزواجية **"مطعم العائلات"**، فأضيف إلى دافع **الجوع** دافع آخر هو **اليأس:** اليأس من ماذا؟ من العثور على مطعم آخر يشبع الجوع، وفى نفس الوقت يحترم الإمكانيات (الدخل المحدود)،

مهما كانت حسابات الواقع تلوّح بالإحباط فإن دافع الجوع يُعمى عن تناسب القدرة مع الإمكانيات، فيندفع الشاب إلى المطعم الذى وجده مصادفة (مثلما تحدث أغلب الزيجات) ليكتشف ما لم يتوقعه بداخله.

المفاجأة هنا أن محفوظ لم يدع الشاب هو الذى يكتشف أن المسألة كانت سرابا، فلو كان قد استعبط أو نسى (من فرط جوعه) ودخل وأكل وشبع ثم عند الحساب لم يجد معه ثمن الأكل مثلاً، إذن لوجدنا أنفسنا أمام دراما مسطحة وقصة معادة تصلح لتزجية الوقت أو التندر على من يدخل مغامرة آمِلَةً، ثم ينال نصيبه من السخرية أو العقاب أو الإحباط، إذن لوجدنا أنفسنا أمام موقف محرج مضحك فى فيلم للريحانى، أو مقلب يوقعه عبد السلام النابلسى لاسماعيل يس، **الرائع هنا أن الذى كشف المستور هو صاحب المطعم نفسه**، وقد كشفه قبل دخول الشاب أصلاً، صاحب المصنع لم يخدع الشاب ويسمح له

بالدخول حتى يكتشف بنفسه خراب المؤسسة، وأنها ليست إلا مقلب نفايات، بل لقد أزاح بنفسه الستارة، وكأنه يحذر الشاب ليس فقط مِنْ فكره الآمِلْ فى **"مطعم العائلات"**، ولكن أيضا يحذره من حقيقة ما وراء جوعه.

واقع المجتمعات المعاصرة، خصوصا التقليدية منها، لا تعلن هذه المخاطر هكذا، وحين حاول الثوار الاجتماعيون والعدميون والمثاليون إعلانها بوضوح صارخ كما شاع وذاع فى الخمسينات من القرن الماضى (عقب الحرب العالمية الثانية) خرجت أعمال بَدَتْ ثورية انتهت إلى دعوة الهدم الصريح كما تتجلى - مثلاً - بشكل مباشر فى كتاب دافيد كوبر "موت العائلة" Death of the Family، وفى محاولات بعض جماعات الهيبيز، والكوميونات النكوصية، وتنويعات العلاقات المتعددة الحرة.

هنا فى الحلم: بدا لى كشف الستارة، ومن قِبَل صاحب المطعم شخصيا بهذا الشكل، هو نوع من الصراحة الصارمة التى تعلن مسبقا ما ينتظر الجائع الحالم حتى العمى إنذاراً لا شبهة فيه، إنذاراً ينبهه أن **المؤسسة الزواجية "هكذا"** غير قادرة على أن تشبع جوعه هذا، ليس فقط جوعه للجنس أو للحب أو لهدوان السر، ذلك أننا نلاحظ أن محفوظاً قد ترك الأمر مفتوحا لكل الاحتمالات وهو يصف الشاب صديقه بأنه **"عالم بحاله"**، وليس بالضرورة عالم **"بجوعه فقط".**

إذا كان هذا هو أمر "مطعم العائلات" بعد أن عرّاه صاحبه نفسه، فما البديل؟

لكن قبل أن ننتقل إلى الرد على السؤال (الذى ليس رد) تعالوْا ننظر فى صورة تشكيلية ذات دلالة خاصة: رسمها الحلم بإبداع خاص ذلك أن الستارة لم تتكشف عن مجرد خرابة بها نفايات بدلا من كونها مطعم تغرى واجهته بتخصصه للعائلات، إن تعبير **".... فبدت خرابة ملأى بالنفايات فى وضع البهو الفخم المعد للطعام"** يحتاج إلى وقفة خاصة، فمطعم العائلات لا يتكشَّف عن، مجرد خرابة حتى لو أكد أنها خرابة ملأى بالنفايات"، لكن محفوظ جدد أن النفايات مُرَتبة فى "وضع البهو الفخم" المعد للطعام!! كيف يمكن أن نقرأ ذلك؟

أدعو القارئ أن يتصور معى هذا المنظر، لم أستطع أن أتخيله شخصيا إلا حين تذكرت كيف كنا صغارا نلعب بيوتا نرسمها بأكملها على أرضية "الفراندة" (بأن نرص الأحذية التالفة)، والشماعات المكسورة والكراريس القديمة على الأرض، لنشكِّل منها الحجرات بما فيها من صالونات ومطابخ .....الخ. هكذا تجسد لى تعبير محفوظ كيف أن النفايات رسمت بشكل يرسم بهوا فخيما معدا للطعام.

عودة إلى التساؤل . هل ثم بديل؟

هذا الحلم الأول -على إيجازه- يضعنا فى نفس الموقف الذى

نبهنا فيه "هنا" **(يومية 9/3 تحت عنوان: نستعمل الواقع، لا نستسلم له، ونظل نرفضه حتى نغيّره،!!)**

فالملاحَظُ أننا نتعامل من صعوبات هذه المؤسسات (المؤسسة الزواجية - والديمقراطية- والتفسيرات الدينية ....إلخ) بأنْ نكتفى بالرضا بها، ونمضى نبالغ فى تزينيها حتى التزييف، باعتبارها غاية المراد من رب العباد على طول المدى، فتصبح أسود أو أسوأ باستمرار.

هنا فى الحلم: نجد الذى أوصى الشاب ببديل محتمل مؤقت هو صاحب مطعم العائلات، وكأنه ينصح الشاب أن يعيش شبابه أولا، حتى لا يورطه الجوع -مجرد الجوع- إلى مطعم تتناقض لافتته مع ما وراء ستارته، (ظاهره، مع حقيقته) ليس هذا فقط، بل إنه يحذره - مثلما أحثُ سابقا- أن الزمن لا ينتظر، وأن الشباب "يمكن أن "يشطب" فى أى سن"، نلاحظ أيضا أن الشاب رجع إلى "ساعة الميدان" وليس إلى الميدان، للتأكيد على التنبيه إلى مرور الزمن فلمح الساعة كما كان الحال فى أول الحلم، استقبلتُ ذلك على أنها إشارة إلى مخاطر نتائج التأجيل أو التزييف أو العمى الحيسى.

نهاية الحلم بعد ذلك مفتوحة على صفحة وعى القارئ، هى لم تلجأ إلى التسطيح بأن ينبهنا النص إلى أنه "لا يصح أن نضيع شبابنا فى أحلام ليس عندنا إمكانيات تحقيقها"، فلو أن الشاب وجد دراجته وسأل صاحبه عن كبابجى الشباب فدّله أو لم يدله على احتمالات مكانه لكانت نهاية إرشادية فاترة، أو لو أن النهاية ركزت على عقارب ساعة الميدان وأظهرت كيف أن الشاب لم يهمه غياب صديقه وعجلته، فراح يواصل السعى من جديد، إذن لكانت إشارة لنهاية أفضل قليلا لأنها مفتوحة، أما أن يقفل الحلم بهذا الحسم الغامض فهو يلقى بالنهاية فى مواجهة وعى القارئ يبدع منها ما يشاء.

****

انتهت قراءة الحلم الأول مرحليا.

تنبيه ورجاء:

شعرت باختلاف أثناء قراءتى هذا الحلم عن محاولتى السابقة فى قراءة الأصداء، وهأنذا أقبل التحدى.

كل ما أرجوه هو ألا يتعجل القارئ الحكم على محاولتى الحالية،

وأن يسمح لى ألا الزم نفسى تعسفا بقراءة كل الأحلام بدون استثناء، أو على الأقل أن يصاحبنى وأنا أتلمس تحديث المنهج وتطويره،

وأيضا أن يسمح لنفسه (ولى لاحقا) بإعادة القراءة النقدية لنفس الحلم، ومع أحلام أخرى إن شاء الله.

الجمعـــــــة 21-09-2007

21- بريـــــــــــد/ حـــــــــوار الجمعـــــــــــة

كنت قد اقترحت أن أخصص يوم الجمعة "للرد الجماعى" حيث أننى أحاول أن أرد رداً شخصيا على كل من يرسل لى أى تعليق، ومع أنى أشكو من قلة عدد من يتفضل بالتعليق، فقد تصورت أن العدد قد يزيد حتى تحتاج الردود الخاصة إلى مساحة من الوقت أكبر من كتابة اليوميات نفسها، ثم تذكرت – مع الفارق، بداهةً، والله العظيم – كيف أن سيجموند فرويد كان يخصص وقتا محددا كل يوم (نعم كل يوم) للرد على مراسليه، هذا فضلا عما نشر من الخطابات المتبادلة بينه وبين كارل جوستاف يونج، وأيضا بينه وبين صديقه د. فلايس. يا إلهى! كيف كانوا يجدون الوقت؟ وكيف كانوا يحتفظون بهذه المراسلات حتى النشر ولم يكن عندهم كمبيوتر ولا يحزنون؟

سوف أحاول أن يكون الرد أقرب إلى باب "حوار" الذى كان ينشر فى الإنسان والتطور، كانت الرسائل تصلنا، فنقطّعها، ونرد عليها فقرة فقرة، وكأننا نتحاور مع الراسل، وكان فى ذلك ما فيه من ظلم للمحاور/الضيف، حيث نحرمه من حقه فى الرد أولا بأول على ما نرد به عليه، فلا يكون محاورا برغم أنه يبدو كذلك، ومع ذلك فقد ظل هذا الباب من أنشط الأبواب التى أعطت للمجلة شخصيتها وحركيتها، لذلك أعطينا هذه الحوارات اسم **"حركية فكر مع آخرين"** حين جمعناها فى الموقع.

ابتداءً:

أعتذر لكل من أرسل ولم أرد عليه تفصيلا أو أصلاً، كما أعتذر لأنى قد اتبع نفس الأسلوب الظالم الذى كان فى المجلة وأنا أقتطع من الرسائل لأقلبها حوارا وأنا أرد على بعضها دون سياقها المتماسك.

والآن إلى البريد/الحوار
أولا: أسماء نبيل (4-9-2007)

أسماء:
من الأفضل (بالنسبة لى) أن يكون الرد لكل مشارك ومعقب على حدة على البريد الألكترونى، واعتقد أن هذا له علاقة بعدد المشاركين، وله علاقة أيضا بالوقت المتاح لسيادتكم.

د. يحيى:

أوافقك يا أسماء من حيث المبدأ وإن كنت قد رددت عليك ردًا منشورا (يوم 4-9) حيث كنتِ أول من عقّب وكان هذا بالنسبة لى وبالنسبة لمن قرأ مقتطفات رسالتك والرد عليها أكثر فائدة وهو ضد اقتراحك بخصوصية الرد.

أسماء:

(بالنسبة لمقال "اختبار ذاتى، استبار) لاستاذ بكلية الطب، فأرى أنها تخص أستاذ كلية الطب بوجه خاص (والغلابة اللى زيى مالهومش فى الطب دا أنا رايحة تالتة هندسة)، ولكنى وجدت القليل من الاسئلة استطعت أن أجاوب عليها شفهيا.

د. يحيى:

مع أن العنوان لأساتذة الطب، ومع أن الاستبار يشمل بعض التفاصيل الجامعية والبحث- علمية إلا أنه ليس خاصا بهم طبعا، إنها محاولة لتعرية الاغتراب فى مجتمعنا التعليمى والجامعى والعلمى عموما، وكونك حاولت الإجابة، فهذا ما أعنيه: أن كل واحد يمكن أن يأخذ منه ما يستطيع.

***

أسماء نبيل (7-9-2007)

.... تعليقا على مقال "دستور يا الدستور"

أسماء:

"... أعتب على إبراهيم عيسى بعض الشئ لما أجده فى مقالاته من هجوم على السيد الرئيس وابنه المصان جمال ... كما أننى اتفق مع حضرتك فى الرأى فى رفض مقالاته المنفصلة خاصة حين يطيح سبا فى الشعب المصرى "عمال على بطال"، أعجبنى جدا قولك "***.. أنا لن أعرج على مسألة و إشاعة صحة الرئيس الذى أدعو له بدوام الصحة، وحَدة البصيرة، لعله يرى ما يفعله بنا وبنفسه، وما يجرى منه وحوله، وينتبه - أطال الله عمره - إلى أين هو ذاهب بنا نحن ذاهبون وراءه***"

د. يحيى:

أشكرك يا أسماء، وقد قبلت تعاطفك الرقيق مع السيد الرئيس، وإن كنت قد توقفت عند تعاطفك مع "ابنه المصان". أنتِ شابة ومن حقك أن تتمنى الصيانة لابنه الشاب، وانا كذلك أتمنى له - كشاب مصرى - كل خير، لكن المسألة أكبر من أنه شاب أو مصرى، ويجدر بنا أن نتمنى له أن يكون "المصان" طبعا. المسألة هى فى مسألة هبوطه بالباراشوت على دنيا السياسة وحقيقة علاقته أو معرفته بأمعاء الوعى الشعبى وآلام العامة، وغير ذلك، دون اعتراض

على عواطفك، من هنا: شككت فى أنك أحسنت قراءة الفقرة التى اقتطفتيها من المقال، وقد كتُبتها مرة ثانية بالبنط الأسود المائل لعلك تعيدين قراءتها جيدا.

***

أسماء نبيل (8-9-2007)

تعليقا على مقال "الورطة" أكُمل أم أتوقف،

أسماء:

(أقول) أكمِلْ أكمِلْ أكمِلْ

د. يحيى:

حاضر حاضر حاضر، ولكن ...

أسماء:

كلام اليوم ذكرنى بالآية الكريمة:

".. ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ" صدق الله العظيم

سورة الحديد (الآية 27)

لا أعرف ما علاقة هذا بذاك ولكنى تذكرتها بشدة

د. يحيى:

ولا أنا أعرف العلاقة، لكننى شعرت أننى شاكر لك حسن ظنك بمحاولتى المتواضعة هذه.

أسماء:

أريد شرحا (تعنى بعض ما كتبته عن انطباعى عن هذه اليوميات) لهذا:

سادسا: كَسَرتْ وحدتى،

سابعا: ضَاعفَتْ وحدتى

د. يحيى:

عِندَكِ حق

لقد تعلمنا أن نفكر باستقطاب مطلق **(إما .. أوْ)** فكيف أن هذه الكتابة اليومية كسرتْ وحدتى فى **"سادسا"**، ثم بعدها مباشرة ضاعفتْ وحدتى فى **"سابعا"**، أرجو منك ولك يا أسماء ومن جيلك المظلوم أن يتحمل الغموض أكثر فأكثر، فقد يجد فى عمقه معان أهم.

أما أنها كسرت وحدتى: فلأنها - مثلا - عرَّفتنى عليك فأجرينا مثل هذا الحوار

وأما أنها زادت وحدتى: فقد أغنتنى - جزئيا بشكل ما - عن الحرص الشديد على معرفة رأى الناس والأصدقاء من حولى فيما أكتب. كنت حريصا جدا ودائما أن أعرف رأيهم بشكل يشتد إلى درجة الإلحاح (والشحاذة أحيانا)، وأيضا هى أغنتنى عن أن أعمل حساب رئيس التحرير، أى رئيس تحرير، والمساحة المتاحة، والرقابة، ورأى النقاد، فبدا لى ذلك وكأنى استغنيت عن كل هؤلاء، ومن ثَمَّ قد أتمادى فى الاستغناء، فتزيد وحدتى.

أسماء نبيل (16-9-2007)

(تعليق على فقرة فى مقال: "المجرمون أولى بالمواجهة"، ثم "لمن أكتب")، تقول

أسماء: (تقتطف من مقالى مايلى)

"... خاصة وأن ما وصلنى حتى الآن هو تشجيع طيب، لكن أغلبه اشبه بالمجاملة والتهنئة أو التساؤل..،

تكمل أسماء:

بالنسبة لى حتى الآن لا أملك سوى التشجيع أو التهنئة أو التساؤل لا المجاملة إلى أن أكون قادرة على النقد أو إبداع رأى مبدع

د. يحيى:

أنا شاكر، وواثق من ذلك برغم تحفظى على بقية رسالتك

أسماء:

لعلى افكر فى شأن نجيب محفوظ مرة اخرى لكن حاليا لا أعتقد، لذلك أعتقد انى سأتابع كل الأيام عدا يوم نجيب محفوظ

د. يحيى:

أنا بصراحة لم أفهم تعبيرك "لعلى أفكر فى شأن نجيب محفوظ" مرة أخرى، استغرب يا أسماء كيف كنت تفكرين "**المرة الأولى**"، حتى أفهم إلى أين يتجه تفكيرك هذه "**المرة الأخرى**"، ثم إنك تقررين بعد ذلك مباشرة أنك "قررت من البداية "ألا تتابعين يومه" (الخميس: سأتابع كل الايام عدا يوم نجيب محفوظ) لماذا يا ابنتى؟

أليس الأصح أن تتعرفى عليه من جديد؟ من نقده وصفحته الخميسية الجديدة، التى آمل أن تنجح فى الوفاء بما حلمت به، ومن ضمنه أن يتعرف الشباب عليه "من جديد" "مرة أخرى" دون أن يتجنبه ابتداءً هكذا!!؟ أنا لا أريد أن أقول تصوراتى عن الدوافع التى جعلتك تقولين ذلك، فهى

ليست ذنبك وحدك غالبا! ... إياك يا ابنتى ان تحرمى نفسك مما هو "ليس كذلك" (ليس كما هو فى ذهنك أو ما قيل لكِ) رمضان كريم يا أسماء.

أسماء نبيل (20-9-2007)

.... فعلا حضرتك عندك حق، ولكن ماجعلنى أتجنب نجيب محفوظ هو ما سمعته، ومن الممكن ان يكون صحيحا ومن الممكن ان يكون خطأ حول "اولاد حارتنا" وأنها فيها استهزاء، استغفر الله العظيم بالرسول والانبياء، وهذا ليس كلامى ولا أدرى أين الحق، ولا أريد اتباع الباطل، سأحاول عندما تسنح لى الفرصة معرفة نجيب محفوظ.

وعلى فكرة انا برضه استغربت أوى لما قريت لحضرتك كلمة "شيخى" على نجيب محفوظ، قلت أكيد فى حاجة غلط وإلى أن اعرف أين الخطأ ... شكرا ...

د.يحيى:

رأيتِ كيف يا ابنتى!! يبدو أنه كان لى الحق أن أخصص يوما لشيخى هذا هكذا، شكرا، لقد تحرّك فكرك فى الاتجاه الصحيح دون أى دفاع من جانبى أو شرح، ويمكنك أن تعرفى كيف أنه "شيخى" إذا قرأت المقالات الموجودة فى الموقع عنه، وعن أعماله إذا كان لديك الوقت، ولنبدأ بقصيدتين كتبتهما واحدة فى رحابه، **"صالحتنى شيخى على نفسى" جريدة الأهرام**، وواحدة بعد رحيله الجسدى **"لم قلتها يا شيخى" جريدة الدستور.**

أسماء نبيل: (تعقيبا على مقال: أكتب لمن؟ ....)

بسم الله الرحمن الرحيم "وذكِّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين" صدق الله العظيم

فائدة هذا الكلام أنى تذكرت أن اليوم هو الحادى عشر من سبتمبر وذكّرت به أمى التى دوما تتذكر ما يفعله الأمريكان بالعراق وما يحدث فى فلسطين وفى بلدان العالم وترفع يديها بالدعاء على كل من ظلم مسلما وكل من ظلم إنسانا أساسا، أتذكر دعاءها على شارون حتى أصابه ما أصابه، وسيأتى دور بوش، فلو قال كل إنسان ما فائدة ما أفعله، أعتقد أن احداً لن يفعل شيئا لأنه بالنظر إلى الجدوى من أعمالنا فسنجدها ضيئلة جدا إن وجدت.

كلام اليوم جعلنى اشعر أنى أمام قناة أخبارية وجعلنى أتأكد من وجود قوى الشر فى شركات الأدوية أيضا غير الاحتلال.

د. يحيى:

تحياتى إلى والدتك الفاضلة، برجائى أن تمتد دعواتها لنجعل "لعنة الله على الظالمين" فى كل مكان، لكنك - وهى

أيضا – لابد تعلمين أنه لكى يستجيب الله لنا، علينا أن نكون أهلا لاستجابته، ولهذا حديث آخر.

إيقاف

يا خبر!!

أخذتِ يا أسماء وحدك كل هذه المساحة التى خصصتها لبريد/حوار الجمعة، عندك حق "إن المسألة سوف تتوقف على عدد الرسائل".

ولأستسمح بقية المعلقين أن نمد حوار الرد إلى الغد، تحت نفس العنوان، مع أنه سوف يكون يوم السبت. واسم الحوار "بريد وحوار الجمعة". عذرا، أول مرة، نحن نجرب.

إلى الغد

سبتمبـــــــــر 2007 : أسبـــوع 3

إصـدارات شبكـة العلـوم النفسيـة العربيـة

جميع الحقوق محفوظـة للمؤلـف 2007

أ. د. يحيى الرخاوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحة النفسية لشخصيات
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي

الأبحاث النفسية

- عديد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية و عديد الفروض والنظريات والمداخلات بالعربية إضافة إلى عديد أبحاث الدكتوراه والماجستير التي قام بها واشرف عليها و مشاركته عديد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالمية

المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط (ج1 الواقعة. ج2 مدرسة العراة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكوباثولوجى (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكوباثولوجيا - أغوار النفس - حكمة المجانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس (تشمل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية للمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفري بين التفسير والاستلهام- ترحالات يحيى الرخاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المجهر -) ألف باء. الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعرى الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسمار حول القصر العيني - البيت الزجاجي والثعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي- الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ- مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا نلعب يا جدي سويا مثل أمس - تبادل الأقنعة - أصداء الأصداء

الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية
- عضو مؤسس للكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور - مستشار النشر بالهيئة العامة للكتاب
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2007